



مركز البيان للدراسات والتخطيط
Al-Bayan Center for Planning and Studies

ماذا يمكن أن تكون الظروف التي تهيئ لحرب أهلية في بلد ما؟

د. محمد جانلي



ترجمة وتحرير مركز البيان للدراسات والتخطيط

عن المركز

مركز البيان للدراسات والتخطيط مركز مستقلٌ، غيرٌ ربحيٌّ، مقره الرئيس في بغداد، مهمته الرئيسة -فضلاً عن قضايا أخرى- تقديم وجهة نظر ذات مصداقية حول قضايا السياسات العامة والخارجية التي تخص العراق بنحو خاصٍ، ومنطقة الشرق الأوسط بنحو عام. ويسعى المركز إلى إجراء تحليلٍ مستقلٍّ، وإيجاد حلول عملية جلية لقضايا معقدة تهم الحقلين السياسي والأكاديمي.

ملحوظة:

لا تعبر الآراء الواردة في المقال بالضرورة عن اتجاهات يتبناها المركز، وإنما تعبر عن رأي كتائها.

ترجمة: يوسف علاء عباس

حقوق النشر محفوظة © 2022

www.bayancenter.org
info@bayancenter.org

Since 2014

ماذا يمكن أن تكون الظروف التي تهيء لحرب أهلية في بلد ما؟

د. محمد جانلي *

لكل أن تخيل دولة أُسيست من قبل مجتمع صغير، كان يتالف في البداية من بضع قرى، ولكن سرعان ما أصبح إمبراطورية كبيرة. يحكم الدولة قسمين منفصلين من المجتمع. بخلاف ذلك، ليس للجماهير الكبيرة تأثير كبير على الإدارة. هذه الدولة -التي لديها فهم فريد للقانون- هي جمهورية تقليدية تغيّر نظامها بمرور الوقت، مع أنها كانت تحكمها في البداية ملكية. أصبح مواطنو الطبقات العليا لهذه الدولة، الذين لديهم هيكل طموح، أغنياء جداً في العملية التاريخية. أصبح القسم الذي يشغل مناصب ومناصب مهمة في إدارة الدولة أكثر ثراءً ويستمر في الشراء بصورة أسرع. لكن الآن، السياسيون والموظفون المدنيون الذين يناضلون بجشع من أجل الإثراء والمجد والشهرة يضرون بالدولة من نواحٍ عديدة.

كانت الدولة مشغولة بالحروب والصراعات في عديدٍ من البلدان في مناطق جغرافية مختلفة مؤخراً. بعبارة أخرى، تحاول توسيع أراضيها ونطاق نفوذها. في حين تقاتل الجيوش في دول أجنبية هناك فوضى كاملة في البلاد. تتسبب قضايا مثل العادات الشخصية، والغيرة المفرطة، والعناد، الكبيراء والهيبة، والصراعات الطبقية، وعدم القدرة على الوصول إلى السلطة والشهرة في العاصمة، في صراع السياسيين البارزين والجمهور مع بعضهم بعضاً.

مع التغييرات الجذرية التي أجريت مؤخراً، فقدَ الجيش هيكله الكلاسيكي، ومن ثمَّ فقدَ وحدته وسلامته. وهكذا، لم يعد جيش الدولة والأمة، وأصبح هيكلًا عالميًّا يتكون من وحدات عسكرية من السياسيين، أو مجموعات المصالح. حتى أنَّ بعضَ منهم شَكَّل منظمات مسلحة من المرتبة تعمل كشركة ربحية.

ستتحدد في هذا المقال عن أسباب الحرب الأهلية التي اندلعت في هذه البيئة، وأدَّت إلى تآكل الدولة. في هذه الحرب الأهلية، هناك جانبان يتآلفان من شخصيتين مهمتين، وأشخاص أقوياء مجتمعين حول هذين الشخصين. نظراً إلى أنَّ جزءاً كبيراً من الجمهور لا يستطيع تقييم هذه التطورات تقييماً كاملاً، فإنَّهم يميلون إلى الانحياز وفقاً للتطورات.

* باحث.

الشخص المهيمن هو الشخص الناجح تماماً في مهنته أو مهنتها. هذا الشخص مهم أيضاً بالسياسة. كما حقّق نجاحاً كبيراً كسياسي، وفاز في انتخابات مهمة. بعد فوزه في هذه الانتخابات، اتبع سياسة شعبوية، واكتسب مكانة مهمة في نظر الناس العاديين. على وجه الخصوص، نجح في جذب مجموعات مختلفة اعتقاداً أَنَّها مضطهدة أو مستبعدة من إدارة الدولة حتى ذلك الحين. كما منح هذا الشخص الجنسية لعدد كبير من الأجانب، بما في ذلك المهاجرين وطالبي اللجوء. ومن ثُمَّ نَمَتْ قاعدة المعجبين نمواً كبيراً.

بعد ذلك، قام بتوزيع الأراضي المملوكة للدولة على الفقراء والمتجمسين حديثاً، وبني منازل بتكلفة رخيصة. أثناء القيام بذلك، لم يتردد في خرق القانون عند الضرورة. تلقى سلوكه ردة فعل كبيرة من أشخاص آخرين في إدارة الدولة وبعض السياسيين، لكنه لم يواجه أي إجراء قانوني، إذ حصل على دعم الجماهير، وكان يتمتع بمحضانة قانونية.

هذا الشخص الذي يوشك منصبه الرفيع في الدولة على الانتهاء، وضع أمامه أهدافاً سياسية أكبر وبدأ الاستعدادات لها. ومع ذلك، بسبب القيود القانونية، لا يمكن حتى أن تكون مرشحةً للوصول إلى أهدافها السياسية الجديدة، وللتخلص من هذه القيود، يتواصل ويتحدث مع عديدٍ من الأشخاص في العاصمة وخصوصاً في البرلمان. فضلاً عن ذلك، وبفضل شبكة المخابرات التي أنشأها لخدمة نفسها، وليس الدولة، فإِنَّها تراقب عن كثب كل ما يحدث في البلاد.

بطبيعة الحال، يتبع خصومه أيضاً تحركاته عن كثب، وينذلون قصارى جهدهم للامتنال الصارم للقيود القانونية. ومع ذلك، فقد أصبح هذا الشخص أقوى من أن يُوقف بعد الآن. على سبيل المثال، جمع ثروة كبيرة، والتي ستكون مفيدة في النضال السياسي. حصل على هذه الثروة عن طريق مهامه رفيعة المستوى. لقد اكتسبت عديداً من المؤيدين والشركاء المهتمين عن طريق توفير فوائد اقتصادية كبيرة ليس فقط لنفسها، ولكن أيضاً لأولئك الذين يعملون معها. والأهم من ذلك أَنَّها شَكَّلت فريق عمل محترف مخلص على أساس شراكة المصالح من حوله.

بدأ الحديث عن الوضع القانوني المتعلق بالإثراء المفرط، وفترة توليه منصبه ودائرة المقربة، لكن المثير للاهتمام أَنَّه تخلَّص من هذه الضغوط؛ بفضل دعم أكبر منافسيه في المستقبل. بفضل هذا الدعم، تمكَّن من الاستمرار في الجلوس في واحد من أعلى المناصب في إدارة الدولة. مع ذلك

-وبعد فترة- انتهى التعاون بينهما وبدأ هذان الشخصان يبطئون في الابتعاد عن بعضهما بعضاً. ربما كان هذا بسبب حقيقة أنَّ هذين الشخصين فقط بقيا كأقوى شخص في البلاد؛ لأنَّ العائق الوحيد أمامهم في القدوم إلى مكتب يتحكم تحكماً كاماً في الدولة هو بعضهم بعضاً.

في الواقع، وفي البداية، هناك آخرون يستطيعون الاستيلاء على السلطة، أو موازنة أولئك الذين يريدون الاستيلاء عليها. لكن مع مرور الوقت، مات بعضهم لأسباب طبيعية، وقتل بعضهم، وطرد بعضهم من الدولة والسياسة بالمؤامرات. وهكذا، لم يبق في الساحة سوى شخصين كانوا القوة المهيمنة، ومع مرور الوقت، بدأ عدد قليل من الأشخاص الذين كانوا في موقع القوة الثانية ينحازون إلى أحد هذين الشخصين أو ذاك. نتيجة لذلك، أصبحت البلاد أكثر اضطراباً.

لا ينجم عدم الاستقرار هذا فقط عن صراع هذين الشعبين، ولكن أيضاً بسبب الفساد طويلاً الأمد في البلاد، والذي أصبح أكثر وضوحاً يوماً بعد يوم. بسبب هذا الفساد، تدهور اقتصاد البلاد، وبدأ انتخاب النواب بمال، ودخلت الجماعات السياسية في صراع مع بعضها بعضاً، وانقسم المجتمع إلى معسكرات، وأصبحت الرشوة والفساد أمرين طبيعيين، وبدأ التزوير في الانتخابات، وبدأت تُشتَّر الأصوات عن طريق توزيع الأموال، وكل من يتولى منصبه في الولاية مرتبط بالمنصب الذي شغله عن طريق تعين أقاربه ومقربيه.

لقد انخرطت مستويات القيادة العسكرية في السياسة، واستخدمت مناصبها في الجيش للحصول على السلطة والمال، وبعض الجماعات المنظمة بين موظفي الخدمة المدنية وحتى الجمهور منهمك في التآمر ضد بعضها بعضاً. ازدادت المافيا، وانتشرت العلاقات بين المافيا والسياسيين، وبدأ المرشحون المتنافسون في الانتخابات يهديّدون بعضهم بعضاً عن طريق رجالهم المسلحين، والمنظمات الإجرامية.

نتيجة لكلِّ ذلك، تضاءلت قوة البرلمان وفعاليته، وانتقلت سلطة إدارة الدولة واستخدام الموارد إلى أيدي أشخاص معينين. خلقت بيئه الارتكاب والفووضى هذه اعتقاداً في الدوائر السياسية والجمهور بأنَّ شخصاً قوياً وجذاباً يتمتع بسلطات غير عادية، ويجب أن يأتي إلى السلطة لتصحيح الأمور. أثار هذا الوضع مسألة من سيحكم البلاد وحده. لأنَّ هناك شخصين هما هذه الشخصان. وهكذا، بدأ التناقض -الذي أرسى أساس الحرب الأهلية- في الظهور.

وما قلناه حتى الآن، سيسأل القراء، «أيُّ بلد هذه؟» ربما تكونت دولة أمام عينيه وفق أفكاره. قد يكون هناك أيضاً من يعتقد أنَّ هذا بلد موجود اليوم؛ بسبب أوجه الشبه في الأحداث الموصوفة. لهذا السبب، من المفيد شرح اسم هذا البلد؛ لتجنب أي سوء فهم.

البلد الذي نتحدث عنه هو الإمبراطورية الرومانية في منتصف القرن الأول قبل الميلاد (49-59 قبل الميلاد). في عام 49 قبل الميلاد، قُسِّيت روما على معسكرين منفصلين تحت قيادة (يوليوس قيصر، وبومبيوس) (Gnaeus Pompeius Magnus)، وحرب أهلية كبيرة عدَّها بعض الناس (على سبيل المثال مونتيكيو) واحدة من أهم الأحداث التي تسبَّب في إضعاف روما. كان المشهد في أعلى، محاولة لشرح الظروف التي أدَّت إلى هذه الحرب الأهلية.

من هذه التصريحات، ومن المفهوم أنَّ الظروف التي هيأت البيئة المناسبة للحرب الأهلية في روما كانت على النحو الآتي:

- تقسيم المجتمع إلى طبقات وتنظيمه السياسي.
 - حقيقة أنَّ بعض هذه الطبقات فقط تسيطر على إدارة الدولة.
 - نتيجة لذلك، تشكِّل الطبقات الفرعية التي تشكل كتلة كبيرة معرضة للإساءة.
 - بسبب السياسات المطبقة، أصبح الناس مجتمعًا مفرطاً في الطموح يريد أن يصبح ثرياً في وقت قصير، ومن دون إنتاج.
 - الشراء السريع للمسؤولين والسياسيين بمرافق الدولة.
- ومن ثمَّ، فإنَّ الزيادة الشديدة في عدم المساواة في الدخل.
- اتساع حدود نفوذ الدولة ونطاقها إلى درجة لا تتوافق مع سلطتها الحقيقة لهذا السبب، فضلاً عن الحروب والصراعات المستمرة عبر الحدود.
 - تنفيذ الوحدات العسكرية التي تخدم بعيداً عن العاصمة عن البلاد وقهرها بالابتعاد عن سيطرة السياسة.

- صراع السياسيين والشعب مع بعضهم البعض في العاصمة؛ لأسباب مثل العداء الشخصي، والغيرة، والعناد المفرط، والكبراء، والهيبة، والصراعات الطبقية، وحقيقة أنَّ الشخص يصبح قوياً للغاية، ولا تقبل شهرته من قبله منافسيه.
- تدهور البنية الكلاسيكية للجيش، وتسييس الدولة من جيش.
- يتحوَّل الجيش إلى جيش (كوزموبوليتاني) يتكون من جماعات أفراد، وأحزاب سياسية، وجماعات دينية معينة.
- نتيجة لذلك، تمَّرقت وحدة الجيش وزناحته، ومن ثمَّ يهيمن أنصار السياسيين، أو جماعاتصالح على الوحدات العسكرية.
- قام بعضهم بتشكيل تنظيمات مسلحة من المرتزقة لتحمل محل الجيش.
- يجب أن تصنع السياسة على أساس الناس وليس على الأفكار، ونتيجة لذلك، تأتي السياسة الموجهة للقائد في المقدمة.
- نتيجة لذلك، ينقسم المجتمع على معسكرات لا تتسامح مع بعضها بعضاً عن طريق التجمع حول اثنين على الأقل من القادة ذوي السمات الجذابة.
- ثراء الأقارب أو المؤيدون السياسيون ملئ هم في مركز السلطة، والذين استولوا على السلطة محلياً، بتجاهل القانون بوسائل الدولة.
- التبرع غير المشروع بأراضي الدولة لبعض الأشخاص؛ لأغراض سياسية.
- منح الجنسية للأجانب والمهاجرين وطالبي اللجوء؛ لتحقيق مكاسب سياسية.
- استفزاز الطبقات الدنيا؛ لغرض سياسي عن طريق تطبيق سياسات شعبوية.
- لا يتزدَّد أصحاب السلطة في التصرُّف ضد القانون، بدعوى أنَّما لغرض إنساني أو إلهي. ومع كلِّ هذه المخالفات، فإنَّ الطبقات العليا تظل صامتة، بل تصفيق لهذه الممارسات؛ لأنَّهم هم أنفسهم يرتكبون المخالفات نفسها، والطبقات الدنيا؛ لأنَّهم يعتقدون أنَّ هذه المخالفات تفيده.

- تلوث السياسة (ترويج الانتخابات، وشراء الأصوات بتوزيع الأموال وواجبات الدولة، وانتخاب النواب بالمال، ... إلخ)
- تعميق التدهور الاجتماعي (على سبيل المثال، والرشوة، والمحاباة، والمحسوبيّة، والفساد، والولاء بدلاً من الجدارة في واجبات الدولة، أي شخص يتولى أي منصب في الدولة يحاول الاستقرار في المنصب الذي تقلده عن طريق توظيف أقاربه والموظفيين العموميين والجمهور) تنشغل بعض المجموعات المنظمة بالتأمر ضد بعضها بعضاً.
- انتشار المافيا، والتعاون بين المافيا والسياسيين، وعدم خضوعهم لعقوبات قانونية أو سياسية، والمرشحون المتنافسون في الانتخابات يهدّدون بعضهم بعضاً عن طريق رجالهم المسلحين، والمافيا، والمنظمات الإجرامية الأخرى.
- نتيجة كل هذا تضاءلت قوة البرطان وفاعليتها.
- انخفاض السياسيين المهووبين والحكماء أو غيرهما -الذين يحاولون حماية الديمقراطية في مواجهة القادة الناشئين المهيمنين والقمعيين.-
- تناقص ثقة الجمهور بالسياسة والسياسيين.
- تدهور الاقتصاد.

<https://strasam.org/savunma/askeri-harekat/bir-ulkede-ic-savas-yasanmasini-hazirlayan-kosullar-neler-olabilir1022->